حاضرة دمشق من خلال مخطوط الذيل على تاريخ ابن كثير

(تاريخ ابن حجي 801-810هـ)

أ/ عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ

جامعة الجزائر

تمهيد:

نبحث في هذه الورقة في تاريخ دمشق، الحاضرة الشامية العريقة، و التي ظلت دوما رباطا للأبطال، منهلا للفكر و النهضة، وهي اللوحة التي تغنى بها الفنان، كانت ولا تزال مملهمة الشعراء والرسامين العرب و الأجانب، و كتب عنها أسفار و أسفار و بكل اللغات، و سنتناول نيابة دمشق خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، و ذلك إنطلاقا من المخطوط لصاحبه إبن حجي الحسباني الدمشقي، و الذي يتناول في مصنفه الفترة مابين 801-810 هـ، و هو الجزء الذي وجد، و هو عبارة عن ذيل على كتاب تاريخ ابن كثير(البداية و النهاية) أي تكملة من حيث انتهى، وقد سمي الذيل على تاريخ ابن كثير و كذلك على تاريخ بن حجي لدى البعض الآخر من المؤرخين، و قد أرخ لنيابة دمشق خلال عهد دولة المماليك الثانية (الشراكسة) و هجوم تيمورلنك عليها سنة 803 هـ / 1400م، و لقد تناول ابن حجي جملة من المحطات التي

عايشها و عاشتها دمشق و أهاليها، و قد توقفنا عند أهم تطوراتها وذلك عبر عرض موجز للأحداث التي طبعت المشهد التاريخي الدمشقي آنذاك و التي تتبلور في النقاط التالية:

- ❖ تعريف ابن حجي الحسباني الدمشقي.
- ❖ زوايا دمشق الرئيسية.
  - الجامع الأموي.
  - أبوابها و غوطتها.
  - النهر و القلعة.
- ❖ الفئات الفاعلة في المجتمع الدمشقي.
  - العوام (الطبقة الكادحة).
  - المزارعون.
  - أصحاب الحرف و التجار.
- ❖ نماذج من إقتصاديات دمشق:
  - الإنتاج الزراعي.
  - عصر قصب السكر.
  - التجارة الدمشقية (داخليا و خارجيا).
  - ملاحق عن : صور لمخطوطات ابن حجي، قائمة لأسماء المفقودين و المتوفين سنة دخول تيمورلنك.

وقد طالعت العديد من المصادر و المراجع و الدراسات التي تصب في صلب الموضوع على غرار كتاب صبح الأعشي في صناعة

الإنشا (ج4) للقلقشندي، و كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك(ج 3 و4) للمقريزي، و رحلة ابن بطوطة (ج 1) و كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر(ج 5و7)لابن خلدون ،و نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، إضافة إلى الكتب المتخصصة مثل كتب الدكتور مبارك محمد الطروانة على غرار الحياة الإجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة(784-922هـ)، ونيابة حمص في العهد المملوكي، و كتاب الدكتور سليمان عبد الله خرابشة، نيابة طرابلس في العهد المملوكي، وركزت و استعنت بكتاب دمشق في عصر دولة المماليك الثاني للدكتور حسن يوسف غوانمة، و دراساته القيمة حول بلاد الشام، و تاريخ ابن حجي المعنون ب : حوادث و وفيات(796-815هـ) بضبط و تعليق أبو يحي عبد الله الكندري، و نص المخطوط(تاريخ ابن حجي أو الذيل على تاريخ ابن كثير) برسالة الماجستير(لابن حجي الحسباني الدمشقي التي تمت مناقشتها الأردن ، و مصادر و مراجع أخرى تلامس الموضوع، واعتمدنا في التهميش على تاريخ ابن حجي فقط لأنه منهل الأحداث من بداية المحاضرة إلى نهايتها. و بعض المواقع و على رأسها مكتبة الأسكندرية، و مركز جمعه الماجد للثقافة و التراث و المكتبة الشاملة، مكتبة جامعة دمشق...

- **تعريف ابن حجي الحسباني الدمشقي[1]:**

إسمه و كنيته و مولده:

هو الإمام الحافظ العلامة حافظ الشام و مؤرخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن

سعد بن غشم بن غزوان بن علي بن تركي الحسباني الأصل الدشقي المولد و النشأة الشافعي.

كان مولده ليلة الأحد رابع محرم بين المغرب و العشاء بحانقاه الطواويس بالشرق الأعلى ظاهر دمشق سنة احدى وخمسين و سبعمائة هجرية.

نشأته العلمية و مشاهير من أخذ عنهم:

نشأ- رحمه الله – في فضل و علم و ديانة في كنف أبيه الإمام العلامة فقيه الشام و حافظ المذهب علاء الدين أبو محمد حجي بن موسى السعدي الحسباني ت 782هـ

أول ما بدأ به قراءة القرآن على المؤدب المقرئ شمس الدين بن حبش و ختمه في سنة ستين و سبعمائة، و أخذ عنه علم الميقات أيضا و أتقنه.

أما الحديث و أصوله فقد سمع من خلائق من أصحاب ابن البخاري و أحمد بن شيبان و أبي الفضل بن عساكر و الشيخ شرف الدين اليونيني وابن مشرف و التقي سليمان و عيسى المطعم و طبقتهم، و عن ابن النجم الحنبلي، و المعمر شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم، و الصالح الكبير علاء الدين أبو الحسن علي، والحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير وغيرهم، و له في كل حقل علمي أو ديني شيخ جليل اخذ عنه.

1 - مصنفاته[2]:

1) - الذيل على تاريخ ابن كثير.

2) - جمع المفترق، و هو كتاب جمع فيه فوائد عن علوم متعددة.

3) - تاريخ ابن حجي و قد رتبه على حوادث السنين (حوادث ووفيات 796-815هـ).

4) - تعليق على كتاب الألغاز للأسنوي ت 772هـ.

5)- الدارس في أخبار المدارس، وهو كتاب نفيس احترق غالبه في وقعة التتار أي عام 803هـ، وقد بنى على هذا الكتاب وطريقته عدد من العلماء مثل النعيمي و جمال الدين بن عبد الهادي والعلموي و ابن بدران.

6)- الردود على مواضع من المهمات للأسنوي ت 772هـ.

7)- شرح المحرر- في مصطلح الحديث لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت 744هـ.

8)- معجم لشيوخه رتبه على حروف المعجم.

2 - مكانته العلمية و الإجتماعية[3]:

تميزت الفترة التي عاصرها المصنف – رحمه الله – من وسط القرن الثامن إلى بداية القرن التاسع الهجري بكثرة المتغيرات السياسية و العسكرية و الإجتماعية خاصة على مدينة الشام وقاعدتها دمشق و هو وسط ذلك مشارك في أحوالها العلمية والسياسية و القضائية مع حرصه التام على الإنجماع عن الناس وعدم الخلطة باهل النيابة و السياسة و السلطة.

وأما عن مكانته العلمية فقد ذكر ذلك ابن قاضي شهبه في طبقاته فقال:" ولي الشيخ في أواخر عمره الخطابة و مشيخة الشيوخ و انتهت المشيخة الشامية إليه و كان يكتب على الفتاوى كتابة حسنة و خطه مليح و كان يضرب المثل بجودة ذهنه و حسن أبحاثه".

وقال ابن حجر في أنبائه عن المصنف – رحمه الله – " أريد على قضاء الشافعية مرارا فامتنع و انتهت إليه في آخر وقته رئاسة العلم بدمشق و كان أشياخه و نظراؤه يثنون عليه".

وقال الغزي في بهجة الناظرين " و انتهت إليه بعد الفتنة المشيخة في البلاد الشامية و يكتب على الفتوى كتابة حسنة حسا ومعنى".

وذكر ابن طولون الصالحي في قلادته الجوهرية المدارس التي درس فيها مثل الضبيانية و الشامية و العذراوية و الأتابكية وسواها من المدارس بدمشق و قال السخاوي في الضوء اللامع:" وولي خطابة الجامع الأموي و نظره مرارا و ترك النيابة بل أريد على القضاء الأكبر بدمشق مرارا وهو يمتنع".

وقال ابن فهد في ألحاظه:" حصل فنونا من العلوم جمة و مهر في علم الحديث و الفقه، و أفتى و درس مع الصيانة و الديانة واشتهر ذكره و بعد صيته، و كان لهجا بعلم التاريخ و المواقيت".

وكان للمصنف- رحمه الله – علاقات و مراسلات مع أهل عصره من أهل العلم فهو يذكر في عدة مواضيع من كتابه ما كان

يصله من أخبار يدونها في كتابه مثل مكاتباته مع القاضي تقي الدين الفاسي في مكة و مراسلات أخيه نجم الدين لما كان قاضيا في حماه.

وألطف من ذلك و أدق ما وقع له مع نائب الشام شيخ المؤيدي عام 809هـ فهو يقول في حوادث شهر ذي الحجة من السنة المذكورة "و يوم الخميس ثامن عشرية.... واجتمعت يومئذ بالنائب وحدثني الدوادار شاهين بالقصة، و قال النائب:" أكتب هذا في التاريخ"، فهو بهذا معتمد عند أهل عصره كمؤرخ لهطا يسميه معاصره ابن ناصر الدين الدمشقي ت 842هـ عندما يترجم له في"التبيان شرح بديعة البيان" مؤرخ الإسلام.

ولمكانته الإجتماعية المرموقة فقد تم إختياره من ضمن وفد الصلح بين نائب الشام شيخ المؤيدي و الملك الناصر فرجن و قد ذكر كثير ممن ترجم له هذه الوفادة على السلطان في القاهرة مثل ابن حجر و ابن فهد و المقريزي و السخاوي، و يقول ابن تغري بردي في نجومه الزاهرة "و قدم القاهرة في دولة الملك الناصر فرج في الرسلية من الأمير شيخ و كان معدودا من فقهاء دمشق و أعيانها".

وقد وصف المصنف - رحمه الله – هذه الرحلة من بدايتها حتى العودة إلى دمشق أدق وصف".

3 - وفاته[4]:

بعد عمر مبارك مليء بالجد و الإجتهاد بين طلب العلم وتعليمه و مشاركة فعالة في جوانب الحياة متميزة بالديانة

والصيانة، كما يقول الغزي – رحمه الله في "بهجة الناظرين" – كان حسن الشكل دينا خيرا له أوراد من صلاة و صيام و عنده أدب كثير و حسن معاشرة.

وافاه الأجل في سادس المحرم من سنة ست عشرة وثمان مائة مكملا بذلك خمسة و ستين عاما و دفن بجوار والده بمقابر الصوفية بالقرب من قبر الشيخ تقي الدين بن الصلاح و حضره الجم الغفير و كان يوما مشهودا – رحمه الله – رحمة واسعة وتقبل الله منه صالح عمله . اللهم آمين.

❖ **ابن حجي- رحمه – و كتابه التاريخ** [5]

سيجد القارئ لهذا الكتاب أن مصنفه – رحمه الله – تميز فيه بعدة جوانب أهمها:

أولا- إهتمامه بالمدارس و الدروس فيها، فالمصنف – رحمه الله – يصف المدارس و الدروس فيها و الكتب التي تدرس و من يدرس فيها و الأوقاف القائمة عليها و إعادة تجديدها، ولهذا صنف كتاب الدارس في أخبار المدارس.

ثانيا – إهتمامه الفلكي و ما يترتب عليه، يلاحظ أن المصنف – رحمه الله – متابع بكل دقة مواعيد الأهلة و تواريخها وما يقابلها بالشهور القبطية و الإفرنجية و مواسم المطر و أحواله عبر السنين و أثر ذلك في الحياة العامة من خصب و جدب و ما يترتب على ذلك من صلاة الإستسقاء و الإستعداد لذلك بالإضافة غلى صلوات الخسوف و الكسوف.

ثالثا – الإهتمام بالعمارة و متابعتها، فنجده – رحمه الله – يتابع بناء الأسواق و القيساريات و الأبنية العامة مثل الحمامات والأسوار خاصة بعد تعرض دمشق لغزو تيمورلنك في عام (803هـ) و يصف عمليات البناء و من قام عليه و أنفق و كم تكلف ذاك وكيف سار العمل فيه بكل دقة و متابعة.

رابعا – يتابع أسعار العملة و إعادة سكها و يبين الغش فيها، انظر (ص 352) و تدخل الولاة في ذلك و تأثيره على الغلاء والرخص في قيمة المواد الإستهلاكية من خبز و لحم و زيت و سوى ذلك من المواد.

خامسا – يهتم بالحياة الاجتماعية العامة و ما يقع فيها من حوادث يومية من أعراس و أعياد أو إفتتاح لسوق أو إعادة ترميم لحمام، ويصف مواسم الحلوى و دخول الفاكهة من توت ومشمش ووفرة القمح و الشعير أو ندرة هذه المواد و حاجة الناس إلى أكل الجراد، أو يتابع ما كان في حديث حريق دمشق و الضرر الحاصل من ذلك، و يهتم بحركة خروج المحمل الشامي و من حج من الأعيان و العلماء و العباد و الزهاد و من جاور منهم و أمير الركب وقاضيهم، و يتابع سير المحمل في الذهاب و العودة وما يتعرض له من أحوال.

ويقف عند حوادث دقيقة خاصة لا يدعها تفوت لتبقى واصفة لحال لحال الناس في عصره فيذكر مثلا: حادثة قتل قاضي حماة لزوجته و ما دار فيها من ملابسات و مسألة قتل ابن النشو

أثناء صلاة الإستسقاء و اهتمام السلطان بذلك و دقة التحقيق للوصول للجناة، أو يذكر مسابقة تقع بين أهل السوق و ما جرى فيها و القبض على مزور للعملة و عنده آلات سك العملة(ص 352)، و سوى ذلك من دقائق الأمور و خواصها مؤكدا أن التاريخ هو حياة الناس و أحوالهم و ليس خاصا لعلية القوم من القادة و الأمراء والعسكريين.

سادسا- أما عن الناحية الإدارية فهو يسجل في مقدمة كل سنة و بكل دقة تنصيب الولاة و عزلهم و القضاة و تعيينهم في المناصب و يعلق بأسى على تردي حال القضاة و الرشوة في الحصول على المناصب و يذكر مناصب الدولة ومن تولاها من حاجب و كاتب للسر و محتسب في البلاد الشامية و المصرية وغيرهم. و يدق في ذلك حتى أنه يصف طريقة الحصول على ورقة الإذن بالسفر لموظفي الدولة انظر(ص137).

سابعا – المصنف - رحمه الله - في الدرجة الأولى مؤرخ يسجل الأحداث و يفصلها بكل دقة و يعلق عليها و يتابع حركتها وأسبابها و نتائجها أولا بأول، ويشمل تدوينه ما يدور في البلاد الشامية و المصرية وما يؤثر عليها من أحداث في بلاد المشرق واصفا قيام الدول و سقوطها في بغداد و سمرقند و بورصه و أخبار سلطان بغداد و خان التتار و سلطان العثمانيين و سلطان المماليك و نزاعهم على كرسي المملكة و أشراف مكة و المدينة

والحروب بينهما و أخبار شيوخ الأعراب و أمراء التركمان و تدخلهم في التأثير على الحياة العامة.

بالإضافة إلى إهتمامه بتدوين التراجم و تسجيل الوفيات بكل دقة و حرص.

❖ زوايا دمشق الحضارية

دمشق أقدم عاصمة في التاريخ يعشقها كل من زارها، أو درس أو طالع أسفار تحدثت عنها، فهي حاضنة للحضارات المتعاقبة، لأنها شهدت تدفقا بشريا عبر العصور، و فسيفساء لأهم ما جادت به قريحة الأجناس التي غزتها أو استقرت بها، و سمنتها عناصر كثير، من العرب و الفرس و الأتراك و الروم و الصقالبة والأكراد و الأرمن و التركمان و الشراكسة، فتعايشت الأديان على أرضها، فكانت واسطة عقد الحوار الحضاري العالمي، فكانت مركزا للتسامح الديني بين شتى العقائد الدينية، وكل الملل و النحل، فتعايش و تعاون المسلم مع النصراني، مع اليهودي، مع الصابئي، وقد خيمت نسبة العرب على بقية العناصر البشرية الأخرى، فهم أكبر عد في دمشق و قراها و غوطتها و كل حواضر بلاد الشام وبواديها.

❖ الجامع الأموي

انفردت الحضارة العمرانية العربية الإسلامية بجواهر خالدة، و من بينها الجامع الأموي الذي يعد أهم صرح إسلامي بمدينة دمشق، والذي شيد منقبل الوليد بن عبد الملك بن مروان،

و بدأت عمليات البناء سنة 87هـ/706م[6] و كلف هذا الصرح الديني أكثر من تسعة ملايين دينار، و اكتملت خطوات إنجازه سنة 97هـ/715م، و شارك اثنا عشر ألف مرخم، وقد زخرف بأنواع الزخرفة من الفصوص المذهبة و المرمر المصقول،و به عمودان مجزعان بالحمرة لم ير مثلها، وقد زينت جدرانه و أرضياته بالفسيفساء الجميلة الرائعة، فجاء جامع بني أمية آية في فن العمارة الإسلامية و زخرفتها [7]، ويعد رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد حرمي مكة و المدينة و المسجد الأقصى، و أفخم المساجد، وأحد عجائب الإسلام السبعة في العالم [8]، و يبلغ جدار القبلة حوالي 190مترا. و عدد بلاطاته و أروقته، إثنتان و عشرون بلاطة مقسمة على قسمين كل منها إحدى و عشرون بلاطة، على يمنى الرواق الأوسط و شماله، و قد بني الجامع الأموي وفق مخطط مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة، و هناك يعص المؤثرات البيبزنطية في عمارته خصوصا أقواسه و في تزييناته من الفسيفساء، و تعتبر مآذن الجامع الأموي أول محاولة لإقامة المؤذن في الشام[9].

الجامع الأموي ناظره الذي يختص بعملية الإشراف على أوقافه، و بناء و ترميم ما يلزم، و تولى هذا المنصب جمال الدين بن العلائي الأستادار، وكان ينوب عنه السيد الشريف علاء الدين نقيب الأشراف بدمشق، وتولى هذه الوظيفة قبل ذلك ناصر الدين يلبغا اليحياوي المتوفي في محرم سنة 801هـ [10]، كما شغل

الخطابة قاضي قضاة الشافعية، و هي من أجل الوظائف و أعلاها رتبة، و كان للخطيب منزلته الخاصة لدى الخاصة و العامة من الناس،وكانت التولية في هذه الخطابات من نائب دمشق،ما عدا خطابة الجامع الأموي فالتولية فيها من السلطان بالقاهرة[11]، و قد ينوب عن خطيب الجامع الأموي قاض آخر في الخطابة، فقد ناب ابن حجي الحسباني عن قاضي قضاة الشافعية أصيل الدين بخطابه يوم الجمعة 16 شعبان سنة 801هـ[12]،و كان لخطيب الجامع راتب معلوم، و أحيانا يعطى هاؤلاء القضاة إقطاعات خارج دمشق، و يذكر ابن حجي كذلك انه خطب بالجامع الأموي يوم الجمعة 26 رمضان سنة 801هـ ، و حضر خطبته نائب الغيبة بدمشق[13]، وكان في الجامع الأموي عدد من المؤذنين بلغوا كما ذكر ابن بطوطة سبعين مؤذنا، فقد خصص لكل مئذنة أو منارة من مناراته الثلاثة عدد من المؤذنين، و لكل مئذنة رئيس للمؤذنين، وكان للمؤذنين دورهم في حياة المجتمع الدمشقي و في أعياده ومناسباته العامة، فمثلا عندما سلم السلطان الكامل محمد بن العادل الأيوبي القدس لزعيم الأمبراطورية الرومانية المقدسة، فريديريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة، صعد المؤذنون إلى المنابر و كبروا ضد هذا العمل الخطير من السلطان وهذا سنة 626هـ/ 1229م[14].

يجتهد المؤذنون في المشاركة في عملية تحصين مدينة دمشق، و ذلك تحسبا لمواجهة جيش تيمورلنك التتاري، بحيث قام

قاضي القضاة بأعباء القضية و استخدم و وزع على الدبراج جماعات ذوي عدة و عدد، وأشرف عليهم،ودار الأسوار وبين يديه المؤذنون يكبرون و معهم المصاحف، كان ذلك في ربيع الآخر سنة 803هـ[15] و تمثل دورهم في حض الناس على الجهاد و الصمود والدفاع عن مدينتهم، كما كان دور المؤذنون الدعاء للسلاطين في الجامع الأموي و قد حدث ذلك مع الملك العادل الذي أعلن نفسه سلطانا، بعد أن ثار على السلطان فرج بن برقوق في شهر شوال سنة 809هـ[16]، وقد عدد ابن حجي الحسباني جملة من الوظائف في الجامع الاموي، على غرار وظيفة التصدير. فكان الصدر شهاب الدين أحمد بن الشريف محمد المعروف بابن العطار الذي توفي في شوال801هـ، و الذي كان يتصدر بالجامع و يفتي[17]، و كذا و ظيفة المؤقت، وهو الذي، و هو الذي يحدد و له معرفة بعلم الفلك، وأبرز المؤقتين الشيخ شرف الدين موسى بن محمد قبانا الصالحي المؤقت،وأفضل من بقي بالشام بعلم الميقات،وقد توفي في محرم سنة 807هـ[18].

❖ **أبوابها و غوطتها:**

ويتغزل بها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الأنشا، في فترة الربع الأول من القرن 9هـ/15م بأنها:"مدينة جميلة حسنة الترتيب ذات أبنية عظيمة، سور شاهق، لها سبعة أبواب"[19]،قيل أن كل باب جعل لكوكب من الكواكب السبعة و هي على التوالي: باب كيسان(زحل)، وباب شرقي(الشمس)، وباب

تومة(الزهرة)، و باب الصغير(المشتري)، و باب الجابية(المريخ)، وباب الفراديس (عطارد)، و باب المسدود(القمر) [20]، ويسترسل في وصف غوطتها و كأنها حورية من الجنة، فهي جميلة، ذات البساتين الأنيقة، و جداولها ذات المياه العذبة، و أدواحها العناء، وأشجارها الكثيفة ،و أطيارها المغردة، و كان في بساتين غوطة دمشق العمائر الضخمة، و الجواس العلية، و البرك العميقة، والبحيرات الممتدة، وتتقابل بها الأواوين و المجالس، وتحف بها الغراس و النصوب المطرزة بالسر و الملتف، و الحور الممشوق القد، و الرياحين المتارجة الطيب، و الفواكه الجنية،و الثمرات الشهية، و الأشياء البديعة، التي تغني شهرتها عن الوصف، و يقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب[21].

وتشتهر دمشق بالمتنزهات العجيبة و المفضلة على سائر متنزهات الأرض و يقصد بها غوطة دمشق، المدينة ذات أبنية جليلة، و فيها الجوامع و الدارس و الخوانق و الربط، و الزوايا والأسواق المرتبة، والديارالجليلة ذات السقف المذهبة، و المفروشة بالرخام ذي الألوان المختلفة، و منها البرك العديدة، و المياه الجارية، حتى أن الماء يجري في الدار الواحدة من أكثر من مكان، والماء محكم عليها من جميع نواحيها باتقان جميل، و تقع دمشق في منبسط من الأرض، و بارزة عن الوادي الواقع عند أسفل جبل قايسون، و هذا الموقع جعلها مكشوفة الجوانب شرقا و غربا وجنوبا كي يتدفق الهواء إليها، إلا من الشمال فقد حجزه جبل

قايسون، و يطل عليها جبل حرمون الملبس بالثلوج صيفا و شتاء فيلطف من أجوائها صيفا[22].

❖ **القلعة و النهر:**

تشتهر مدينة دمشق بقلعتها و نهرها، فتسقى هي و غوطتها من نهر بردي، و أصل مخرجه من عينين، الأولى من قرب قرية الزبداني، و الأخرى بقرية الفيحة، و تقع الفيحة بذيل جبل يخرج الماء من صدع في أسفله، و ماء الفيحة ماء بارد عذب، و يرفد نهر بردي منابع عديدة تقع في مجرى النهر، و نهر بردي يقسم إلى سبعة أنهر ، أربعة غربية هي: نهر داريا، و نهر المزة ، و نهر القنوات، و نهر باناس، و اثنان شرقية هما: نهر يزيد و نهر ثورا، و نهر بردى يدخل بينهما، و يدخل نهر باناس قلعة دمشق، ثم ينقسم إلى قسمين، الأول يدخل الجامع الأموي و القسم الآخر إلى القلعة نفسها، ثم ينقسم كل منهما إلى أقسام عديدة، تتفرق في المدينة وأحيائها.

أما نهر القنوات فيدخل المدينة و يجري في قنوات مدفونة في الأرض إلى أن يصل إلى الدور و الأماكن حسب التقسيم، أما فضلات الماء و البرك و مجاري الميضات فتصب إلى قني معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع و تشكل مجرى نهريا يخرج إلى ظاهر المدينة لسقي البساتين، أما نهر يزيد فيجري في طرف الصالحية و يشق طريقه في بعض أجزائها، أما باقي الأنهار فتنصرف إلى البساتين[23].

تعد قلعة دمشق من أهم أثارها التاريخية خلدتها أسفار التاريخ، و تقع في الجانب الغربي منها، و هي حصينة ، تحيط بها

وبالمدينة نفسها أسوار عالية، و حفر حولها خندق مليئ بالماء، و كان هذا الماء يطلق عند الضرورة على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها، و يوجد تحت الخندق ساحة فسيحة بها سوق الخيل على جانب واد ينتهي فيه مما يلي القلعة إلى شرفين محيطين به في جهة القبلة و الشمال، في ذيل كل منهما ميدان ممرج بالنخيل الأخضر، و الوادي يشق بينهما، و في الميدان القبلي منهما يوجد القصر الأبلق الذي شيد بالحجر الأسود و الأصفر، و هو من بناء السلطان الظاهر بيبرس[24].

❖ **الفئات الفاعلة في المجتمع الدمشقي:**

- العوام(الطبقة الكادحة): هي الفئة الغالبة، المنتجة و المبدعة، والتي تعرضت لظلم المماليك الشراكسة، بحيث صودرت ممتلكاتهم، إلا أنهم ساهموا في العمارة و الصناعة، والزخرفة والنقش، والنحت على الخشب، و بالتالي فهم أصحاب الحرف المختلفة، من زراع، وحرفيين (صغار الصناع)، كما كان لهم شرف الدفاع عن مدينتهم، وذلك رغم بؤسهم و تهميشهم، عند تعرضها لجحافل جيش تيمورلنك سنة 801هـ/1400م، بحيث قام العوام بإحراق المباني التي تحيط بالمدينة، و تصدروا أسواق المدينة لقتاله، و رجموا الهاربين من الأمراء و نائب مدينة دمشق، و كذا قاضي القضاة الشافعي، والقاضي المالكي بالمقالع، وضربوا النائب، و أعادوا الجميع إلى دار السعادة، ملوحين بسيوفهم التي نالت من البعض[25]، و لقد زاوج الدمشقيون بين أعمالهم وعرضهم، وحاربوا

بضرواة الخنون الذي تميزت به بعض شخصيات الحاكمة، على غرار قضية هروب داود دار نائب حلب من قوات تيمورلنك، وقدومه إلى دمشق يوم السبت الآخر سنة 801هـ/1400م، فصوبوا له حجارتهم و نبالهم [26]، و قاوموا الزعيم التتاري بأزقة دمشق، في حين فر السلطان بن برقوق معه عسكر مصر إلى القاهرة، مما أدى استفحال الخوف و الرعب في أوساط الناس خاصة النساء والصبيان[27]، وقد ختم العوام واجبهم بإعادة بناء قلعة المدينة المهدمة و غيرها، بحيث تزاحم الجميع من أجل جلب الحجارة ونقلها من الخندق، و باشر سكان دمشق البسطاء أعمالهم في ورشاتهم و حوانيتهم، و جمعوا بين الجهاد والحرفة من أجل زرع الحياة في مدينتهم الجريحة التي كانت معلما حضاريا حاول البرابرة التتار تحطيمه[28].

- **المزارعون:**

تقطن هذه الفئة بالقرى المحاذية لمدينة دمشق، مثل عجلون، البلقاء، و حوران، الخيارة، و الكسوة، و النبك، و عسان، و الزبداني، و القران، و المزة و داريا، و النيرب و يبرود، و كفر سوسه[29]، و كان النشاط الممارس من قبل المزارع يخضع لخصائص أرضه أو قريته، فهناك زراعة المحاصيل المتنوعة و كذا مهنة الرعي، و الصيد،الغوطة فيها البساتين و الأشجار المثمرة، فحققت إنتاجا وفيرا و رواجا في أسواق دمشق و حوانيتها، على الرغم من الظلم الذي فرضه المماليك على هذه الفئة النشيطة،

بحيث أرغمت على دفع نسبة من محصول الشعير، لنائب دمشق، و دفع العديد من الغرامات، و قد حدث ذلك في قرى المزة، والنيرب، و كفر سوسه، و قد تواصل جور و تعسف المماليك، إذ شهدت الفترة ما بين 809هـ - 810هـ عملية مصادرة و جمع ذهب وأموال أصحاب القرى و الجنائن و البساتين من قبل المماليك والإقطاعيين الذين أرهقوا كاهل هذه الطبقة بكل أنواع و ألوان الأوامر و الإستعباد(القنانة)، و الإعتداء على الأعراض و الممتلكات مما أدى إلى إنتشار ظاهرة الفقر و الجوع، الشيئ الذي أدى إلى القيام بتوزيع الطعام على الفقراء، خاصة بعد موت مجموعة من الرجال و النساء، كما أن ذريعة جباية الأموال من المزارعين لإعادة بناء القلعة، ما هي إلا كذبة، لأن تلك الأموال دخلت خزانة نائب دمشق، و أمام هذا الوضع المزري تدهورت حياة المزارع و الإنتاج الزراعي[30]، هذا المزارع الذي شارك في الدفاع عن القرى ودمشق، و تصدى للغازي تيمورلنك و جيشه رغم و جوده تحت مطرقة المماليك و سندان التتار[31].

❖ **أصحاب الحرف و التجار:**

- **أصحاب الحرف:**

يشتغل سكان حاضرة أو نيابة دمشق بالزراعة بغوطة المدينة، أو بالتجارة، أو بالورشات الحرفية التي تمثل الصناعات المتنوعة، و تنفرد فئة الحرفيين بالإنتاج و الإبداع في مجالات كثيرة مثل، الدباغة و الصياغة ، و صناعة الزجاج و الخزف، و النجارة

والخياطة، و الحدادة و إضافة صناعة النحاس و الزخرفة، والنحت على الخشب، وصناعة النسيج بمختلف تخصصاته، كالحرير والصوف والذي اشتهرت دمشق به،فنجد النساج على أيوب الماخوري ذي تباع منسوجاته بأثمان مرتفعة [32]، و الفقيه زين الدين عمر بن الحمصي المشهور في إنتاج الحرير، بحيث يملك ورشة خاصة [33]،صانع الأزرار شمس الدين محمد المتصفي الحريري[34]، فدمشق خلية نحل لا يتوقف حرفيوها عن العمل والإتقان، فهذه النيابة التابعة لدولة المماليك الثانية (الشراكسة)، هي الحاضرة الشامية و التي تفوق في حركتها الحرفية و التجارية والعمرانية و العلمية حواضر الشام كله، ومدن عالمية أخرى، فتشتهر في صناعة السلاح، لكونها رباط لأحرار الشام و الإسلام، وقاهرة الصليبيين، و هي صناعة قديمة سبقت الوجود المملوكي بهذه المدينة، فهي من الحرف التي يعشقها أهل الشام بشكل عام، والدمشقي بوجه خاص، وقد ازدهرت هذه الصناعة مع بداية ربيع الأول803هـ،/1400م، بحيث أصبحت دمشق عبارة عن ثكنة عسكرية، كونها تعيش حالة تعبئة قصوى، و تأهب واستعداد لمقاومة الغازي تيمورلنك و جيشه، مما أدى إلى ارتفاع وتيرة الإنتاج الحربي، و تطوره، بحيث صنع أهل الإختصاص في هذا المجال ،المكاحل أو ما يعرف بالمدافع في دار السعادة، و نصبوها مع المجانيق على القلعة و أسوار مدينة دمشق ، كما عرفت مراكز تصنيع السلاح المعروفة بالسلاح خاناه، الموجودة بالقلاع نشاطا

كبيرا في رواج صناعة السلاح العتيق، كالسيوف و الأقواس، والتروس، و الدروع [35]، و من هنا نستسف بأن المدينة تمتلك مواصفات العواصم المواكبة لها زمانيا، و ذلك على كافة الأصعدة، و لذا كانت نقطة إرتكاز لكل التجار و أصحاب البضائع و الحرف[35].

❖ **التجار:**

التجارة هي حرفة دمشقية شامية بامتياز، ودونت كل الأسفار التي زار أصحابها هذه المدينة مدى تفوقها في هذا الميدان، فتحدثت عنها كتب الرحلة، و التجارة، أو التي أرخت للأمم و الملوك والحواضر، فلا عجب أن يحج إليها التجار من كل حدب و صوب، كونها أقدم بقعة عرفت المدنية، وأول عاصمة في التاريخ، و لأنها تنفرد بنظام خدماتي متحضر يتمثل في الخانات، والحمامات، والبيمارستانات، إضافة إلى الأمن و الإستقرار، و كانت أيضا قبلة سكان القرى، والمدن الشامية الأخرى، و القبائل العربية، و البدو، و أهل الشام عموما لإقتناء حاجياتهم من البضائع و السلع[36].

دمشق مركز التجارة الدولي و الإقليمي انذاك، هي المدينة التي لا تنام، فتجارتها المحلية زاخرة ورائجة، و مع حواضر الشام الأخرى لا تتوقف من حيث التبضع أو استقبالها لسلعهم المتنوعة، أما الخارجية فهي مع مصر و عدن و الهند و الصين و أوروبا وغيرها، فقد اشتهرت دمشق بأسواقها التي تختص كل سوق منها بسلعة أو بضاعة ما، زيادة على حوانيتها العامرة بالخيرات المختلفة، و البضائع التي تأتيها من كل حدب و صوب ، كما نجد القواعد

التحتية التي تنمي من وتيرة التجار في عملهم والتجارة في سرعتها وربحها، فنلاحظ كثرة القيساريات، و الوكالات التجارية أو دار الطعم أو دار الوكالة، ويسيرها شاد دار الطعم الذي يقوم بجباية المكوس من التجار [37]، ويكمن الإختلاف بينها و بين القيساريات، فالقيسر لا تختلف في وظيفتها عن الفنادق و الخانات، وبها حوانيت تؤجر للتجار للتجار للبيع و الشراء أو لخزن سلعهم وإقامتهم [38]، وهذه القياسر للتجار المحليين، أما التجار الأجانب فخصصت لهم الوكالات أو دور الطعم، و هذه الأبنية كان بعضها يحتوي على كنيسة و مكان لسكنى التجار من دول أوروبا كجنوا و البندقية وبيزا و غيرها، ووجدت هذه الأبنية في معظم المدن الشامية مثل دمشق، حلب ، القدش، عكا، طرابلس، صور، صيدا، بيروت، وعجلون،و إلى جانب تلك الوكالات و دور الطعم، وجد قناصل الذين يرعون مصالح بلادهم التجارية لدى المماليك [39]، وقد كان لهذه الأبنية التجارية دورا كبيرا في إنتعاش التجارة الدمشقية محليا و إقليميا و دوليا، كما إرتفعت وتيرة تجارة دمشق بفعل المكانة التي يتمتع بها تجار المدينة لدى سلاطين المماليك و نوابهم الذين تولو منصب نيابة دمشق، بحيث دأب هاؤلاء التجار على تقديم الهدايا و المساعدات لهم، و ذلك نتيجة الثراء الكبير الذي ذاع صيته في عدة بقاع و يعرفون بلقب "بياض العامة" [40]، و كما احتكر تجار دمشق التجارة مع الهند و الشرق الأقصى و شرق إفريقيا عبر عدن و جدة و هرمز، و لقب هاؤلاء التجار بالكارم أو

الكارمية، و شكلوا أكبر لوبي مالي في دولة المماليك، و مركزهم الرئيسي مصر، أما الثاني ففي دمشق، و كانت لهم قواعد في اليمن و هي مركز التوزيع الأساسي لبضائعهم [41]. و نستشف من هذه المعطيات بأن تجار دمشق ساروا وفق استراتيجية تجارية تطمح في جعل مدينتهم مركزا تجاريا دوليا، فانتشروا في حواضر الشام ومصر، و كان لهم باع كبير في تجارة الشام و الشرق الأقصى، فكانوا في عدن و العقبة، إنهم تجار دمشق الكارمية[42].

إن تعرض دمشق للخراب الممنهج الذي خاضه تيمورلنك وجيشه، أجهض لفترة معينة أهم مورد إقتصادي للمدينة، و هو التجارة غير أن عملية الترميم و البناء التي انطلقت بعد رحل البرابرة و التي ركزت و بشكل واضح على هذا القطاع، و شارك تجارها في عملية البناء، ففي 804هـ/1401م تم تشييد و ترميم العديد من القيساريات و الكالات على غرار عمارة القيسارية المحاذية لجسر الزلابية و سكنها التجار، و قبلها تم تسليم عمارة السوق و الحوانيت التي على جانبي الجسر، و أشرف على كل هذه العمليات القاضي شمس الدين ابن الأجنائي، و بذلك عادت الماكنة التجارية للعمل، و تم تحدي النكبة التتارية، و أصبحت دمشق عامرة بالسلع وزاخرة بالحرف[43].

❖ **نماذج من اقتصاديات دمشق**

- **الإنتاج الزراعي**

تشتهر دمشق بغوطتها التي سلبت الألباب الشامية والعربية و الأجنبية، و ذلك راجع لجمالها، و جداولها ذات المياه العذبة، و بساتينها المتناسقة، و أشجارها الكثيفة،و طيورها المغردة، إنها دوحة غناء [44]، و تنفرد هذه المزارع و البساتين والحدائق الدمشقية بفسيفساء من المنتةجات، كالخضر والفواكه، فنجد الخيار و الفاصوليا و البدنجان،وكذلك المشمش و التوت والتفاح، و الإجاص و العنب...، إضافة إلى الانتشار الواسع لزراعة الورود في مساحات شاسعة ، لأنها مادة خام و هامة يستخرج منها ماء الورد [45]، و هناك أيضا زراعة قصب السكر كونها تحضى برعاية السلطان و نائبه بدمشق [46]، و نجد إلى جانب ذلك، محاصيل من المشمش الحموي و الفستق الحلبي و القمح،و الشعير و الجوز و اللوز و الأرز و الحليب واللبن و مشتقاته(الجبن) [47]، ونستنتج من هذه التشكيلة المتنوعة من الخضروات و الفواكه ، بان دمشق تتمتع بزخم من الإنتاج الزراعي الذي ساهم في تحقيق أمنها الغذائي، و تحسين مستوى المعيشة بها، و تشارك في اغراق الأسواق الشامية كالقرى و الحواضر بمنتوجها الزراعي المعروفة به، و الذي كان يلقى إقبالا لجودته و تنوعه.

- **عصر قصب السكر:**

تعد زراعة قصب السكر- على حد قول إبن حجي- من الزراعات التي يرعاها السلاطين والأمراء و نواب دمشق، وذلك نتيجة لأرباحه و عائداته الكبيرة، و لإرتفاع أسعاره، و يزرع القصب السكري في الأغوار التي تسقى من نهر الأردن و روافده، و يشرف عليه نائب دمشق شخصيا، ويعين أميرا يلقب باستادار الأغوار، بحيث يتابع أطوار النمو و عملية العصر، و تجمع المكوس على المحاصيل الزراعية المتنوعة ، و يقر ابن حجي بأن سنة 801هـ، شهدت إنتاجا و فيرا من محصول قصب السكر، الشيئ الطي أدى إلى مكوث نائب دمشق بالأغوار مدة تجاوزت خمسة أشهر للإشراف على عملية التحصيل و العصير، خاصة و أن الإنتاج فاق الحد [48]، كما ارتفعت أسعار السكر لحاجة السلطان للأموال [49]، بحيث وصل سعر الرطل إلى ثلاثين درهما، و رطل الجوز بثمانية دراهم تقريبا، و أوقية من الفستق بدرهمين ، و قنطار الأرز بخمسمائة درهم، و قد خلص ابن حجي بأن هناك التهاب في الأسعار[50].

إن مسألة إرتفع الأسعار و انخفاضها خاضع لظاهرة القدرة الشرائية للعملة المتداولة انذاك و المتمثلة في الدرهم الفضي، و الفلس النحاسي، إضافة إلى تداول الدينار الفلوري أو الفلورنسي، و الذي يساوي ثلاثين درهما في سنة 805هـ ثم واصل الإرتفاع فأصبح الدينار الواحد بخمسة و ثلاثين درهما [51]، و في ظل هذه الأوضاع بقيت زراعة القصب السكري و عصره و انتاجه

تهيمن على اهتمامات المماليك مدة تواجدهم بدمشق، كونها سلعة ذات رواج و أموالها طائلة و مطلوبة محليا و دوليا.

❖ **التجارة الدمشقية:**

- **الداخلية:**

انصب اهتمام المماليك على التجارة لما كانت تذ ره عليهم من أموال طائلة، ولهذا حاولوا المحافظة على وتيرتها و نسقها كي يتم ضمان توازن عائداتها، و ذلك بتحقيق الأمن للقوافل التجارية، فأوعزت هذه المأمورية للقبائل العربية لحارسة الطرق المحاذية لإقامتها مقابل إقطاعات أو رواتب [52]، كما شيدت الخانات والفنادق من أجل توفير الراحة للتجار، و بالتالي ديمومة تدفق الأرباح عبر التجارة المرتبطة بمحور دمشق مع بلاد الشام، و كذلك المحور الخارجي الذي يربط دمشق مع مصر أو الهند أو الشرق الأقصى(اليمن، الهند، الصين) هذا الأخير و الذي يعتبر المنهل الرئيس للسلع الشرقية، و هذا عبر الرئة التجارية الدولية المتمثلة في البحر الأحمر، كما توجد، كما أوجد المماليك سلاسة نقدية تساعد على انتعاش التجارة، فكانت العملات النقدية تعتمد على الدينار الذهبي أو الفضي، و كذا الفلس النحاسي، هذه النقود التي يتم ضربها بدار الضرب بدمشق [53]، مما زاد من رواج التجارة داخليا،هي وجود الهياكل المساعدة على ديمومة النشاط التجاري وكذا كون دمشق و حلب مركزين تجاريين هامين بالشام يرمتها، وتمثل دمشق علامة فارقة في هذا المجال، فتنوع وكثرة السلع،

وانفراد كل سوق أو حانوت ببيع بضاعة ما، و نظامها الخدماتي التجاري، جعل منها محورا اساسيا للتجارة الداخلية الشامية، فيوجد بالمدينة، أسواق الخضر، و أسواق الفواكه، و القمح والصاغة و سوق السلاح و غيرها ،لذا كانت مقصدا للقبائل وسكان القرى و الحواضر الشامية لإقتناء ما يلزمهم [54] من سلع، لم تدم هذه الرفاهية التجارية بل عاشت بلاد الشام عامة، و دمشق بشكل خاص أوضاع مترديةعلى كافة الأصعدة، لأنها خضعت لغزو تيمورلنكعام803هـ1400م، وما نتج عنه من انتشار للفوضى، وانعدام الأمن و سطوة رجال القبائل على الحواضر، وتراجع مردود التجارة و عائداتها، و تفشت ظاهرة النزوح التي تمثلت في هجرة الناس من دمشق صوب مناطق شامية أخرى، لأن المدينة استباحها تيموراينك و جنوده، قتلو نهوا من الثروة الحيوانية، وصادروا أموال الناس عنوة و ظلما، و انتشرت الفاقة و عزت الموارد، وارتفع سعر مد من القمح أربعين درهما، و أكل الناس الحشيش، و الجراد وساروا حفاة عراة، واحترقت العديد من جانبات دمشق، و تهدم سور قلعتها[55].

لقد نسج المماليك على منوال التتار و زعيمهم بعد أن تنفست المدينة الصعداء برحيلهم، فقام المماليك بفرض الأموال وبدفع بديل المحصول مالا أو عينا، و صادر جنودهم ذهب الناس، و مصادرة أملاك أرباب القرى و البساتين بحجة إعادة إعمار قلعة دمشق، و تم مس حرمة الأوقاف بالإقتطاع منها، و الإقتطاع من

أموال العامة،فعم الظلم ارجاء المدينة سنة 809هـ[56]،وأقاموا نظام السخرة، بحيث تم تسخيرالناس لمهمات صعبة،منها إعادة بناء ما تهدم من قلعة دمشق(أشغال شاقة)، لأن الأموال التي نهبت من الناس وضعت في خزانة نائب دمشق و لم يتم استغلالها في البناء[57]، وبات أهل دمشق لا يف رقون بين أعمال التتار والمماليك لتشابه أعمال التعسف والظلم بينهما، فالنهب والتعسف و الظلم وإجبارية دفع المال و المكوس، و الإقتطاع المملوكي، أدى حتما إلى تدهور التجارة الداخلية و تراجعها بشكل خطير، و عاشت دمشق كابوس المماليك بعد التتار، حتى قيل أن جور وظلم المماليك كان ابشع في هذه المرحلة الحرجة[58]، و صدق القائل لا يخدم البلاد إلا أهلها.

- **الخارجية:**

لقد إنقسمت إلى قسمين، البرية مع مصر و الحجاز، والبحرية مع البلاد المحادية و أوروبا، ومع الهند و الصين، و قد سارت دمشق في تجارتها الخارجية على نسق المدن التجارية الإيطالية(بيزا،جنوة،البندقية)، و شيدت الوكالات للأجانب بها المساكن و دور العبادة(الكنائس)، وشجت و قنت المكوس بواسطة شخص يدعى شاد دار الطعم [59]، و كان للموانئ البحرية الشامية دورا محوريا في التجارة الخارجية، مما جعل مدينة دمشق إحدى المراكز التجارية العالمية، و من أهم الموانئ هي: موانئ البحر الحمر إلى العقبة، و طرابلس و بيروت، و صصيدا ، و عكا ، فهي ثمون

المدينة بالسلع القادمة من الشرق عبر عدن و البحر الأحمر، وتتمثل في التوتبل و الأحجار الكريمة، و اللوبان والبهارات و العطور، و بعض المعادن، و يتم تصدير القماش و الحرير الدمشقي و سلع كثيرة أخرى[60]. ومنه نستنتج بان دمشق كانت واسطة عقد التجارة بالشام، بحيث يحج إلى أسواقها الأفرنج و العرب للبيع و الشراء، وذلك لأنها مستودع للسلع القادمة عبر الساحل الشامي، و من اليمن و من جدة ومكة، ومن خلال قوافل الحج(التجارة الموسمية) و عبر تجار دمشقيين و وسطاء، فباتت دمشق تلبي حاجيات أوروبا من بضائع، و لم يعكر صفو تجارتها الخارجية إلا عزو التتار، القراصنة بإختلاف أجناسهم، وقطاع الطرقن والظلم المملوكي (مصادرة و ضرائب و مكوس)[61].

في الختام ، و بعد هذا الجرد الذي تناول بعض الميادين التي تاولها ابن الحجي في كتابه الذيل على تاريخ ابن كثير(801هـ/8010هـ) نقول جملة واحدة فقط، هي أن حاضرة دمشق سارت و واكبت بكل تفاصيله فضلت و على الرغم من تدمير البرابرة التتار لمعالمها الحضارية، تكتب التاريخ و تتعلم عنها العواصم العالمية الأخرى و في كل المجالات، و سوف تنهض دمشق اليوم رغم أنف البرابرة الجدد المهدمين و عاش الشام و أهله، مهد الحضارة و التحرر و مقبرة للهمج الجدد و كل عام و دمشق والشام بكل خير.

❖ الهوامش:

---

1) – العلامة الحافظ شهب الدين أبي العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي، تاريخ إبن حجي، حوادث و وفيات، 796-815هـ ضبط النص و علق عليه: أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2003، الطبعة الأولى، المجلد الأول، ص،12،11.

2) – المصدر السابق،ص،16.

3) – المصدر نفسه،ص،18،17.

4) – نفسه،ص 19

5) – أهم الخصائص التي انفرد بها ابن حجي في كتابه التاريخ من خلال مصنفه.

6) – ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دار الشرق للنشر، ب ت، ط1،ج1،ص66.

7) – القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، بت، . ج4،ص96.

8) – حتي فيليب، تاريخ سوريا و لبنان و مصر، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت،1983،ص131.

9) – ابن بطوطة، المصدر السابق، ص66ن أنظر أيضا: مؤنس حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1984،ص185،184.

10) – ابن حجي، الذيل على تاريخ ابن كثير أو (تاريخ ابن حجي)، ماجستير في التاريخ الإسلامي، عمر بن ذياب الشامي . غير منشورة . جامعة الأردن، 1999، بها 661ص، حجم 29سم، أخذنا منها المخطوط، و حسب صفحاتها، وسنختصرها في عنوان ابن حجي الدمشقي، و ابن حجي في بقية المداخل، ص20،8،5.

11) – القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص193.

12) – ابن حجي الدمشقي، مصدر سابق، ص63،60.

13) – المصدر نفسه، ص،633،400.

14) – غوانمة يوسف حسن، دمشق في عصر دولة المماليك الثانية، دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان،2005،ط1،ص99،98.

15) – ابن حجي الدمشقي، مصدر سابقن ص218،45.

16) – المصدر نفسه،ص580.

17) – نفسه،ص77.

18) – نفسه،ص430،424.

19) – القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص92.

20) – المصدر نفسه،ص، 92.

21) – نفسه،ص، 95.

22) – نفسه، ص، 93،92.

23) – نفسه، ص، 96.

24) – نفسه، ص، 94،93.

25) – ابن حجيالدمشقي، ص، 211.

26) – المصدر نفسه،ص، 222.

27) – نفسه، ص، 231.

28) – نفسه،ص، 563.

29) – القلقشندي،ج4،ص،97.

30) – ابن حجي الدمشقي، مصدر سابق، الصفحات،608،606،571،563.

31) – المصدر نفسه،ص، 195، 198.

32) – نفسه، ص، 225،224.

33) – نفسه، ص، 263.

34) – نفسه، ص، 249.

35) – نفسه، ص، 218،211.

36) – غوانمة، يوسف حسين،في التاريخ و الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، عمان،2000، ص،157،156.

37) – ابن حجي الدمشقي،مصدر سابق، ص، 274.

38) – غوانمة، يوسف حسن، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر، عمان،1982،ط،2،ص، 83.

39) – غوانمة، يوسف حسن، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياةن عمان، 1982،ص،90.

40) – غوانمة، دمشق، مرجع سابق، ص، 23.

41) – جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي و النظم الإسلامية، تعريب عطية القةصي، وكالة المطبوعات، الكويت،1980، ص، 279،280.

42) – غوانمة، دمشق، مرجع سابق، ص،23.

43) – ابن حجي الدمشقي، مصدر سابق، ص، 274.

44) – القلقشندي، مصدر سابق،ج4،ص،95.

45) – ابن حجي الدمشقي، مصدر سابق،ص،466،462.

46) – المصدر نفسه،ص، 61.

47) – نفسه،ص، 305.

48) – نفسه،ص، 61،55،54.

49) – نفسه،ص، 49.

50) – نفسه،ص، 305.

51) – نفسه،ص، 332.

52) غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، مرجع سابق،ص، 62.

53) – ابن حجي الدمشقي،ص، 396.

54) – المصدر نفسه،ص ص، 501،449،392،379،354.

55) – نفسه،ص، 244،239.

56) – نفسه،ص، 572.

57) – نفسه،ص، 206.

58) – نفسه،ص، 573.

59) – نفسه،ص، 274.

60) – نفسه،ص، 263.

61) – نفسه،ص ص، 603،593،376،137.